

## القتال من اجل النصر

بقلم: فردريك كاغان

مجلة (Weekly Standard)

و

مركز المشاريع الأميركي لأبحاث السياسة العامة

٢٠٠٥ / ١٢ / ٩

ترجمة : مركز الكاشف للمتابعة والدراسات الإستراتيجية

بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة العدد:

في هذا العدد ترجمة لدراسة منشورة في مجلة **الويكلي ستاندرد** وهي تعبر عن وجهة نظر خط المحافظين الجدد الحاكم في الولايات المتحدة الآن ، وهي منشورة كذلك في موقع **معهد المشاريع الأمريكي** الذي هو معقل من معاقل الخط المذكور وعقله الإستراتيجي. وكاتب الدراسة **فردريك كاغان** وهو باحث مقيم في المعهد المذكور ومتخصص في الشؤون الدفاعية وفي الجيش الأمريكي، وفي الصفحة التالية نبذه مختصرة عنه كما وردت في موقع المعهد على شبكة الإنترنت.

هذه الدراسة من الدراسات المهمة والتي تلقي الضوء على سياسة وإستراتيجية المحافظين الجدد في العراق والمتعلقة بمواجهة الضغوط المتزايدة في الولايات المتحدة والداعية الى السحب الفوري للقوات الأمريكية من العراق، وتناقش الدراسة كذلك خطة بقعة الزيت التي تمت ترجمتها في العدد الخامس من هذه السلسلة والمنشورة أصلاً في مجلة الشؤون الخارجية التي تعبر عادة عن المدرسة الواقعية في السياسة الخارجية ، وأبرز من يمثلها هنري كيسنجر.

ومن القضايا المهمة التي تؤكد عليها الدراسة هي ضرورة وجود إستراتيجية واضحة للنصر في العراق، كما هو وارد في الإقتباس التالي:

**'فأحد اسباب تدني مستوى الدعم المحلي لسياسة ادارة بوش في العراق كامن في غياب استراتيجية معدة بشكل متقن وواضحة لتحقيق النصر هناك'**

وبسبب هذا التأكيد من قبل مراكز الأبحاث هذه، على ضرورة طرح هكذا إستراتيجية، أخذ الرئيس بوش يؤكد في خطاباته الأخيرة وبشكل مكثف على وجود هذه الأستراتيجية.





فردريك كاغان  
باحث مقيم

مؤرخ عسكري ، تعلم في West Point ، باحث مقيم في المعهد ، متخصص في القضايا الدفاعية وفي الجيش الأمريكي. وعلى الأخص قد درس التحولات الدفاعية وميزانية الدفاع واستراتيجية الدفاع والحرب. وكتب أيضاً حول التاريخ العسكري الأوربي والروسي.  
الخبرة المهنية:

زميل بروفيسور في التاريخ العسكري، ٢٠٠١-٢٠٠٥

بروفيسور مساعد في التاريخ العسكري، ١٩٩٥-٢٠٠١ ، الأكاديمية العسكرية للولايات المتحدة (ويست بوينت)

المؤهلات الأكاديمية:

ماجستير ، دراسات السوفييت وأوروبا الغربية

دكتوراه ، تاريخ الجيش الروسي والسوفييتي، جامعة ييل

## معهد المشروع الأمريكي

## لأبحاث السياسة الخارجية

## القتال من أجل النصر

ان تحقيق النصر في العراق، رغم اتباع الإستراتيجية الصحيحة، ابعث بكثير مما يتصوره الناس

بقلم: فرديريك كاغان

تاريخ الإرسال: ٢٠٠٥/١٢/٩

المقالات: Weekly Standard

تاريخ النشر: ٢٠٠٥/١٢/١٩

هل يعد التراجع او الانسحاب من او الهزيمة في العراق امرا محتما لا بد منه؟ فالاعتقاد السائد بين معظم ان لم نقل جميع المعارضين لادارة بوش هو ان هذا التراجع امر لا مفر منه. و استنادا لما جاء على لسان السناتور الجمهوري (جاك مورثا) في منتصف شهر نوفمبر، عندما طالب باعادة نشر سريعة للقوات الامريكية مصحوبة بضمانات امنية، حيث قال: لا يمكن للولايات المتحدة ان تحقق اي شيء في الجانب العسكري من بقاء قواتها في العراق فقد آن الاوان لعودة هذا القوات الى البلد. و قد تكرر الحديث نفسه مؤخرا على لسان السناتور الديمقراطي (هاوارد دين) حيث قال: ان الفكرة القائلة باننا سننتصر في هذه الحرب هي مجرد فكرة ساذجة و خاطئة مع الاسف. فالداعون الى انسحاب القوات الامريكية من العراق يشيرون الى الهجمات المتواصلة على قوات التحالف و اهداف عراقية و كذلك الى

استمرار موجة الاصابات و حصد الجنود الامريكيين، اضافة الى الخوف المتزايد من ان يتعرض جيشنا للهزيمة تحت ظل ضغط الاحتلال الذي طال امده.

و يشاطر حماة و انصار الادارة بالطبع مناوئتها في هذه المخاوف، و البعض منهم يبدو انهم (بصفة خاصة) يحملون نفس الفكرة القائلة بأن الحرب قد لا يكون اي فائز او منتصر فيها. بل يوجد عدد من الساسة داخل الادارة الامريكية ممن لهم شكوكهم و شبهاتهم ازاء الحرب. و مهما يكن من امر، فالواضح لدينا ان الادارة الامريكية ترى بأنها ملزمة بتقديم و عود بخفض عدد قواتها في العراق بشكل محسوس "اذا كانت الظروف تسمح بذلك" في العالم ٢٠٠٦. وهناك اخبار تتردد حول بدء الاستعدادات و التمهيدات لتقليص عدد الجنود الامريكيين في العراق.

و مما يثير الغرابة هنا هو ان الدعوات المتوالية التي تطالب بسحب فوري للقوات الامريكية من العراق لا تنطلق من اي اخبار سيئة معينة ترد مؤخرا من العراق (حول وجود) انذار ضعيف او مبرر حول قدرة الجيش على الصمود و مقاومة التحديات (تواصل المستويات العالية لامكانيات الاحتفاظ بالقوات الموجودة فعلا للتعويض عن النقص الحاصل جراء قلة عدد المتطوعين من الامريكيين). و على العكس من ذلك، فأن آخر الانباء الواردة من العراق توحي بوجود تحمس اكثر من السابق. فالاستراتيجية الامريكية تحسنت، و آفاق النجاح و تحقيق

الفوز أصبحت افضل بكثير مما كانت عليه لحد الآن.

فجهود قوات التحالف و مساعيها على الحدود العراقية السورية لتطهير المدن الحدودية من المسلحين و المتمردين، و منذ اوائل شهر سبتمبر، لم تولد الغضب، او العنف او اي انفجار او عصيان، بل بالعكس. فعمليات تطهير مدينة تلعفر في اواسط سبتمبر على يد قوات امريكية و عراقية مشتركة جاءت بعد مطالبة اهالي تلك المنطقة للقوات الامريكية بالتدخل لتخليصهم من شر المتمردين. و يمكن القول ان العمليات في القرى الواقعة على نهر الفرات الاعلى منذ ذلك الوقت، لم تولد سوى مقاومة محدودة و ضعيفة و متقطعة، مصدرها الرئيس المتمردون و المسلحون في المنطقة. و الدروس المستفادة من استفتاء شهر اكتوبر واضحة للعيان. و الاكثر من ذلك، فان العمليات المشتركة المباشرة و الهجومية التي نفذتها القوات الامريكية و معها العراقية للسيطرة على تحركات المتمردين و احباط محاولاتهم لافشال وعرقله الانتخابات ادت غرضها و جاءت بنتائج جيدة و مثيرة للدهشة.

و لهذه النقطة بالذات يوجد اكثر من دليل بأن استخدام قوات التحالف بشكل هجومي اثبت فاعليته بنفس الدرجة التي اثبت معها حضور تلك القوات – كما يؤكد الناقدون للادارة الامريكية – كونه مضرا و جالبا للخسائر. مع ذلك فان انسحاب القوات الامريكية امر مطلوب و مرغوب من وجهة

نظر الامريكيين و العراقيين على السواء، لذا لا ينبغي ان يكون هذا الانسحاب الهدف الاول للعمليات العسكرية الامريكية في العراق. و الحقيقة هي ان النداءات الداعية الى انسحاب متهور و غير مدروس من العراق، او لتحديد مهل نهائية او جداول زمنية لسحب القوات، باتت الآن تهدد بانتراع الهزيمة من بين فكي النصر.

### دعوة ملحة لا اساس لها

ان الالاحاح على انسحاب القوات الامريكية من العراق لم يعد بحجم اكبر مما كان عليه في بداية الامر، و اولئك الذين يصرخون مطالبين بسحب فوري للقوات لايملكون اي دليل مقنع لاثبات حقانية مطالبهم. و في حديثه الانفعالي، نقل مورثا عبارات منتقاة من مسؤولي CENTCOM (القيادة المركزية) لاعطاء صورة عن العراق تبدو فيها مشاعر الاستياء من القوات الامريكية بأنها آخذة بالنمو و الازدياد و تؤدي الى تعميق حالة التمرد. و قال مورثا: "ان النتيجة التي توصلت اليها هي ان وجود القوات الامريكية في العراق يعرقل هذه العملية. فقد أصبحت قواتنا الهدف الاول لهجمات المتمردين. و أصبح المسلحون متحدين ضد القوات الامريكية و أصبحنا نحن عاملا محفزا للعنف. فالقوات الامريكية تعتبر العدو المشترك للسنة و الصداميين و المقاتلين الاجانب." وردا على سؤال طرح عليه كرر مورثا: "حان الوقت لاعادة القوات الامريكية الى الوطن ... فقد أصبحت هذه القوات اهدافا لهجمات المسلحين. و أصبحت

العدو!... فان ما نقوم به حاليا هو توحيد صفوف الاعداء ضدنا!"

و لكن يمكن القول بخطأ كل هذه التصريحات. قوات التحالف كانت دائما الاهداف الاولية لهجمات المتمردين، لكن و طوال السنة الماضية تحملت قوات الامن العراقية و معها المدنيون العراقيون حصة كبيرة من هجمات المتمردين اكبر مما تحملته قبل معركة الفلوجة الاولى و ذياح فضيحة سجن ابو غريب. و لعل الهجمات المذهلة الاخيرة على القوات الشرطة و الامن العراقية و اغتياالات قادة السنة السياسيين المشاركين في الانتخابات تؤيد صحة هذا الادعاء. و لم يعد المتمردون اكثر اتحادا مما كانوا عليه في السابق. بل بالعكس، اخذت اعداد كبيرة من الزعماء السنة العرب بالانضمام الى العملية السياسية متجاهلين تهديدات الارهابيين داخل مجتمعاتهم. بل حتى، و كما ذكرته آخر التقارير الخبرية، ان عددا من جماعات المتمردين من السنة العرب قامت باستخدام عيون او جواسيس داخل الحكومة العراقية لجس النبض و التعرف على مدى امكانية التحاقهم بالعملية السياسية.

كما يمكن الاشارة الى رد فعل العرب السنة ازاء دعوات الزعيم الارهابي ابو مصعب الزرقاوي في شهر سبتمبر لشن حرب اهلية ضد الشيعة كدليل آخر على صحة ادعائنا. ورغم ان عددا صغيرا من رجال الدين السنة العرب استنكروا اعمال الزرقاوي لاثارته قضايا صرفت اذهان العالم عن مسألة مقاتلة الامريكيين، الا انهم التزموا الصمت بل

قبلوا ضمنا بموضوع اعطاء الاولوية للقتال (او الجهاد) ضد الشيعة. و هذا الصمت لم يكن بالضرورة بشارة خير للنظام المدني في العراق، لكنه يعكس بالتأكيد حقيقة ان رجال الدين السنة العرب لا ينظرون للوجود العسكري الامريكي على انه يمثل المشكلة الرئيسية التي تواجههم. و على العكس من ذلك، يمثل هذا الامر دليلا على اهمية استمرار التواجد العسكري الامريكي في العراق و مواصلة تدخلاته في الصراع الدائر هناك لتفادي وقوع حرب اهلية.

بعد ذلك، فان مورثا و حلفاءه، اغفلوا حقيقة واحدة و هي في الوقت الذي ينظر للامريكيين بأنهم العدو المشترك للمتمردين، فان الحكومة العراقية تعتبر كذلك عدوا مشتركا، بل تشكل خطرا يهدد معظم جماعات المتمردين. فحضور القوات الامريكية في العراق لا يعد ببساطة المشكلة الاساسية في ذلك البلد، و لهذا السبب فان زوال او خروج تلك القوات لن يشكل نهاية للتمرد و العمليات المسلحة هناك.

كما ان المعطيات و المعلومات المنتشرة حول هجمات المسلحين في العراق لا تدعم او تساند اي احساس باضطرار القوات الامريكية للانسحاب. فقد شهد الاستفتاء على الدستور الذي جرى في شهر اكتوبر تناقضا واضحا في عدد العمليات الهجومية حيث كان عددها اقل بكثير من الهجمات المنفذة اثناء انتخابات يناير (كانون الثاني) من عام ٢٠٠٥: فقد نفذ ٢٩٩ هجوما في ٢٠٠٥/١/٣٠ اسفرت عن سقوط ٢١٣

شخصا بين قتيل و جريح، في مقابل ٨٩ هجوما و ٤٩ اصابة في الخامس عشر من اكتوبر (تشرين اول). و قد هاجم المتمردون ١٩ مركزا انتخابيا في شهر اكتوبر، في حين قاموا في شهر يناير (كانون الثاني) بمهاجمة ٨٨ مقرا انتخابيا. و رغم عدم وضوح مغزى او اهمية مثل هذه المعلومات و الارقام، و كون خطوط و توجهات اخرى تحمل تباشير اقل من ذلك بمستقبل افضل، لكن لا توجد حالة اكيده تدل بشكل قاطع على ان الاوضاع تزداد سوءا يوما بعد آخر و تشكل دليلا كافيا يدعم المطالب الملحّة الداعية الى سحب فوري للقوات الاجنبية من العراق. بل على النقيض من ذلك، يبدو ان هناك تقدما محسوسا يتم احرازه هناك.

و احدى الحجج المركزية الاخرى التي استخدمها مورثا و اشخاص آخرون، منهم عدد من قادة القوات المركزية و مسؤولي ادارة بوش، لاسناد الحضور الامريكي الآخذ بالاضمحلال في العراق، مبنية على ان تقليص حجم القوات الامريكية سيسجع العراقيين على تحمل مسؤولية توفير الامن و ضمان حياة آمنة لانفسهم. و سيكون لهذه الحجة مغزى و مفهوم خاص اذا كانت هناك قوات عسكرية او اجهزة امنية عراقية مستعدة و قادرة على اخذ زمام المبادرة لمقاتلة و محاربة المسلحين المتمردين، لكن ذلك لم يكن له وجود. و قد وصف جيمز فالوز مؤخرا (في مصطلحات غامضة جدا، دون ريب) وصف المأزق الذي يمر به الجيش العراقي، حيث اكد ان من الواضح للعيان ان

الجيش العراقي غير قادر فعلا على مجابهة التمرد و السيطرة عليه لوحده. فاستعدادات قوات الشرطة العراقية بقيت متخلفة عن تلك التي يقوم بها الجيش العراقي؛ و الاكثر من ذلك، فهناك وقت طويل امامهم حتى يكونوا مستعدين لهذه المهمة. و ان الدعاة الى الانسحاب يطرحون احتمال الاحتفاظ بقوات اسناد امريكية و متعاقدين او مقاولين امريكان في العراق، لسد النقص و التعويض عن العجز شبه الكامل للجيش العراقي في الدفاع عن نفسه و مقاومة المتمردين. و سيحذف مورثا حتى دور اولئك (و صرح قائلا: "ان وضع استراتيجيّة الخروج مع خطة انفعالية مدفوعة بالاحداث لن تجدي نفعا لانهم يجدون دوما تبريرا او ذريعة للامتناع عن اخراج هذه القوات")، مما يؤدي الى تشتت و انهيار الجيش العراقي في الحال، كما سيحدث ذلك بالتأكيد. و لا يمكننا تحريض او حث العراقيين على تحمل اعباء و مسؤولية حفظ الأمن قبل ان يكونوا مستعدين لذلك.

كما لا يحتاج العراقيون الى الكثير من الحوافز للتحرك والعمل. و هناك ادلة سواء احصائية او روائية تؤكد على تصميم الجيش العراقي الجديد و عزمه للمشاركة في مواجهة و مقاومة التمرد بالاعتماد على قدراته الذاتية. و قد خططت الوحدات العراقية و نفذت عملياتها الخاصة بها في مناسبات عديدة، و في العالم ٢٠٠٥ لم تشهد اي امثلة او نماذج حول فرار فرق الجيش العراقي من ساحة القتال. و لطالما افتخر الضباط الامريكيون بالجنود العراقيين الذين يدربونهم و يقاتلون

بهم – و يطرحون روايات عديدة تؤيد و تدعم افتخارهم. فالعراقيون يقاتلون و سيواصلون قتالهم دون حافز مطالبتهم بأداء مهام غير مستعدين لها.

و لعل اخطر حجة يقدمها اولئك المنادون باجراء مراحل خفض و تقليص في حجم الوجود العسكري الامريكي في العراق تقول ان الجيش الامريكي يمر بخطر الفشل و الخذلان. و قد حذر الجنرال باري ماكافري (Barry McCaffrey) مؤخرا من "ان عجلة القيادة للحرب آخذة بالفلتان من ايدي الجيش". و قد قبل اندرو كرينيفتش (Andrew Krepinevich) هذا الافتراض باعتباره واحدا من القواعد الاساسية لمناظرته القائلة بأن الولايات المتحدة مطالبة بخفض حجم قواتها في العراق في وقت تتبنى فيه استراتيجية "بقعة الزيت" التي تركز على توفير الامن لعدد قليل من المواقع الرئيسية و نشر تلك السيطرة تدريجيا في كل انحاء البلاد. و سنعود الى فلسفة فكرة "بقعة الزيت" بين الفينة و الاخرى، لكن علينا اولا التمعن بجدية في التاكيد القائل بأن الجيش يوشك على مواجهة خطر الانهيار.

و في الواقع يصعب تقييم مدى اقتراب الجيش من الهزيمة و الاندحار. فالارقام المعلنة لا تكشف عن حقائق و احداث كثيرة – و اهمها ان الجيش الامريكي فقد الاهداف المرسومة للتطوع السنوي في العام الماضي بما مجموعه سبعة آلاف جندي (خارج الهدف المرسوم للتجنيد او التطوع و البالغ ٨٠,٠٠٠ مجند لاسناد قوة تضم اكثر

من ٥٠٠,٠٠٠ مجند). و من ناحية اخرى، فان طابور "طلبات الالتحاق بالجيش"، لاولئك الذين تطوعوا و قبلت طلباتهم لكن رفع قوائم اسمائهم الى مراكز التدريب تأخر، هذا الطابور نضب و لم يعد له وجود، مما جعل التراجعات و التذنيات المحسوسة في عدد المتطوعين للالتحاق بالجيش تشكل نسبا أعلى بكثير مما كان متوقعا. و يبدو ان الجيش يواجه صعوبة بالغة في سد النقص الواضح في عدة تخصصات واصناف اساسية بشكل اشد مما كان عليه سابقا، رغم ان نشر وحدات الجيش في العراق قد يؤدي هذه المهمة (ملء الفراغ للخبراء) بأعداد تكملية من الجنود بصورة اجمالية.

و لعل اكثر الجوانب اثاره للقلق في هذه المشكلة هو ان الجيش يتكل حاليا على معدلات عالية للغاية من محاولة الاحتفاظ بالمجندين و اعادة تسجيل المتطوعين للتعويض عن النواقص الملحوظة في عدد المتقدمين للتجنيد – كلما كثر عدد المتقدمين لرفع رتبهم كلما قل عدد المجندين الجدد الذين ينبغي بقيادة الجيش العثور عليهم. و يبدي ماكافري و غيره قلقهم من انه كلما طالت او استمرت الحرب، كلما تدنى حجم الاحتفاظ بعدد المجندين الموجودين فعلا – و بعد ذلك فان عجلة قيادة و ادارة الجيش ستقلت من اليد. و لعل طلبة الحرب البريطانية في ايرلندا الشمالية يؤيدون هذه المخاوف. و ان معظم الجنود الامريكان قد جربوا انتشارا واحدا او اثنين في جبهة الحرب في العراق، لكن عملية الاحتجاز او الاستبقاء على المجندين في



الجيش البريطاني لم تبدأ بأية معاناة حتى عودة الجنود الى الانتشار للمرة الثالثة و الرابعة.

و لم تعد مسألة اجهاد الجيش امرا خافيا على احد. فان رفض الادارة الامريكية الثابت و المستديم – منذ تولي السلطة، و منذ احداث الحادي عشر من سبتمبر، و منذ الحرب في افغانستان، و منذ عملية تحرير العراق – لزيادة حجم القوة الفاعلة يبقى امرا غير قابل للتفسير و غير مبرر. لكن لا أحد يعرف متى سيتعرض الجيش للانكسار او حتى فيما اذا كان سيهزم. لا يوجد احد، في الواقع، يمتلك فكرة واضحة عما سيعنيه انكسار الجيش هذه الايام – و يشير هذا المصطلح الى الجيش الامريكي في الفترة التي اعقت الحرب الفيتنامية، الذي لم يكن يعاني فقط من القتال المطول كثيرا و انما من آثار الاندحار و الهزيمة في الحرب، و كذلك رفض و معارضة المجتمع الامريكي لهذه الحرب، و التحول المفاجئ لقوة من جنود الخدمة الالزامية الى قوة كلها من المتطوعين. و لا يبدو ان الجيش الفعلي لامريكا سيواجه العديد من تلك التحديات، لذا فان صحة المقارنة بين الحالتين مورد شك و غير دقيقة. كما لم يتضح بأنه ليس هناك شيء يمكن القيام به لحل هذه المشكلة عدا الانسحاب من العراق. فقد عانى جيش السبعينات من معضلات جدية فيما يخص تجنيد المتطوعين للقتال، تمكنت ادارة ريغان من التغلب عليها بنظام قصير الامد عبر زيادة العلاوات الممنوحة للمتطوعين، و رفع مستوى استراتيجيات

التجنيد، و اضافة الدعوات الرئاسية الى حمل السلاح. وظل الجيش يشعر بأنه اخذ يشق طريقه نحو مثل هذه الحلول هذه الايام، لكن مسيره مشوب بالحذر و دون الاستفادة من اية معونات مالية رئاسية او جدية بالاعتبار. و سيكون من الحكمة محاولة اصلاح و ضع الجيش دون الانسحاب من العراق قبل تقبل الهزيمة هناك كئمن علينا دفعه لاسترداد العافية المؤسساتية للجيش.

كما لم يتضح بعد فيما اذا ستعطي الولايات المتحدة الاولوية للعافية المؤسساتية للجيش و ترجحها على نجاح مهمتها في العراق. و ان الانسحاب السابق لأوانه و غير المدروس سيؤدي بالتأكيد الى انهيار و تقويض اسس النظام المدني في العراق، و فشل العملية الديمقراطية هناك، و الى تصاعد خطير لعمليات القاعدة و بقية اشكال و صور التطرف الاسلامي العنيف، و احتمالا اتساع نطاق الصراع العراقي الداخلي ليشمل دولا اخرى في المنطقة. و من المحتمل ان تقود العديد من هذه السيناريوهات بالقوات الامريكية الى اعادة اقام نفسها في احداث المنطقة بأعداد كبيرة و في طبخة سريعة. و قد تكون شروط القتال بعدئذ اسوأ مما هي عليها الآن، و المجازفات اعلى و اكثر جدية، و اخطار هزيمة الجيش حتى اكبر و اشد. لذا بات من المؤكد حقيقة ان سحب القوات من العراق في الوقت الراهن لانقاذ الجيش الامريكي و الحفاظ على ماء وجهه تعد نظرة ضيقة الافق. كما تبدو للوهلة الاولى للبعض بكونها فكرة حكيمة و بعيدة الافق. و ينبغي

باولئك المهتمين بسلامة الجيش – و لا نقل  
برخاء الامة – ينبغي بهم اعطاء الاولوية و  
الارجحية لتحقيق النجاح في هذه المهمة.

### بحثاً عن استراتيجية:

في آخر تصريح له قال السناتور  
جوزيف بيدن: "اذا اثبتت الادارة بأنها تمتلك  
مخططا ناجحا لحماية و ضمان مصالحنا  
الامنية الاساسية في العراق، فان الامريكيين  
باجمعهم سيدعمون هذه الادارة و يدافعون  
عنها." ولعله محق تماما في ذلك. فأحد اسباب  
تدنى مستوى الدعم المحلي لسياسة ادارة بوش  
في العراق كامن في غياب استراتيجية معدة  
بشكل متقن وواضحة لتحقيق النصر هناك. و  
لطالما جادلت القيادة المركزية بأن مفتاح  
النجاح في العراق يكمن في اعداد مخطط  
مدرّس و تدريب الجنود العراقيين لاختذ زمام  
المبادرة و السيطرة على الاوضاع الامنية في  
اسرع وقت ممكن. كما اظهر القائد العام  
للقوات المركزية (CENTCOM) جون ابي  
زيد و في عدة مناسبات بأنه يعتقد ان حضور  
القوات الامريكية في العراق يعد احد العوامل  
الرئيسية المحفزة على حصول التمرد في  
العراق. وقد صرح الرئيس الامريكي بوش و  
لاكثر من مرة بالقول "حالما يتمكن العراقيون  
من الاعتماد على قدراتهم و السيطرة على  
الايضاح داخل بلادهم فاننا سنسحب و نسلمهم  
ادارة الامور." كما كرر مورثا و مسؤولون  
آخرون هذه التأكيدات و بكل جد لبيان تأييدهم  
للدعوات المطالبة بسحب القوات الامريكية  
من العراق.

لكن الامل المعلق على تحويل زمام  
الامور واداره المشكلة لايدي العراقيين هي  
مجرد استراتيجية للخروج من الازمة، وليست  
استراتيجية لنجاح المهمة في العراق. وكان  
بامكاننا، و كما اوضح مورثا، تحقيق هذا  
الهدف بعد يوم واحد (او خلال ستة اشهر  
على الاقل)، اذا لم نركز اهتمامنا على ما  
حصل في العراق في اليوم التالي. فهدف  
الفوز في العراق يتطلب خطة اكثر تعقيدا  
ومعدة بشكل جيد و تؤدي دورا اكثر تأثيرا من  
اعداد العراقيين لمواصلة القتال ضد  
المتمردين، لكن الادارة الامريكية ولوقت  
متأخر، فشلت او عجزت عن طرح خطة بهذه  
التفصيلات و لاداء هكذا مهمة.

وان اصدار وثيقة استراتيجية مجلس  
الامن القومي مؤخرا، و التصريحات التي  
ادلى بها الرئيس الامريكي، اعتبرت مجرد  
بداية لسد هذا الفراغ. و تقدم هذه الوثيقة  
مخططا مفصلا للموقف العام للادارة و  
اسلوب تعاملها مع المشكلة في العراق و تشدد  
بشكل دقيق على أهمية تنسيق النشاطات  
العسكرية و السياسية و الاقتصادية في  
العراق. لكن هذه الوثيقة لاتوضح كيف يتم  
هذا التنسيق لو اخذنا في الاعتبار هشاشة و  
تشنت ترتيبات و خطط القيادة المركزية في  
العراق. بل الاسوأ من ذلك، لا تقدم الوثيقة  
شرحا واضحا للدور الذي يجب ان تقوم به  
القوات الامريكية في العراق عدا تدريب  
الجيش العراقي – اي مواصلة محاربة  
الارهابيين سواء الاجانب او العراقيين، اضافة  
الى مقاتلة المتمردين من السنة العرب؛ و

العمل على تشجيع السنة لترجيح المشاركة في العملية السياسية على اعمال العنف؛ و توفير ادامة نموذج للاحتراف العسكري للقوات العراقية الفتية و الشابا. و هذه الثغرة تؤدي الى افسال كل محاولات معارضة هوس الانسحاب الذي يستحوذ على اذهان صناع القرار في واشنطن و على ادارة الحرب نفسها.

وحتى تقدم الادارة توضيحا للاسباب التي تستدعي حضور و بقاء القوات الامريكية في العراق، فيما عدا تدريب قوات الامن العراقية على ضبط الاوضاع في الداخل، سيكون من الصعب على الادارة الامريكية الدفاع عن الاحتفاظ بأية مستويات معينة او ارقام محددة للقوات الامريكية هناك. و كان بالامكان حصول التدريب المتسرع حتى بعدد أقل بكثير من ١٦٠٠٠٠ جندي في هذا الوقت بالذات اذا كان ذلك كل ما يمكنهم فعله في العراق. وطالما استمرت القيادة المركزية في بيان حقيقة ان وجود القوات الامريكية يعد المحفز الرئيسي للتمرد و العمليات المسلحة وان العراقيين هم المطالبون بالقتال ضد المتمردين قبل غيرهم، سيكون من الصعب رؤية كيف ستكون هذه الحجج و المجادلات كافية للدفاع عن قدرات القوات والحفاظ عليها في مستويات عالية نسبيا من الاستعداد تعتقد القيادة المركزية بأنها ما تزال ضرورية.

و تلك المستويات العالية من القوات هي مسألة ضرورية وحيوية لان للقوات الامريكية دورا حرجا وخطيرا عليها القيام به فيما عدا مهمة تدريب قوات الامن العراقية. و

ذلك لانه اذا بدأت القوات الامريكية بمغادرة العراق فعلا وبشكل دائم ونهائي، فان التمرد و الاعمال المسلحة ستتصاعد و تشتد. و اول ما يتبادر الى ذهن العديد من المتمردين انهم كانوا يمتلكون فرصة كبيرة لتحقيق نجاحات عسكرية ضد العراقيين اكبر من الفرصة التي كانت امامهم ضد الامريكيين، ولذا فانهم سيشجعون للدخول في قتال يعتبره العديد منهم حاليا مثبطا للهمم. و ثانيا، سيكونون على حق فقوات الامن العراقية لا بد لها ان تتحرك على مستويات من المهارة و الكفاءة ادنى من تلك التي لدى قوات التحالف. وتقدم المتمردين مع قوات حكومية اقل قدرة سيوفر لهم فرصا لا يمتلكونها الآن. و هم سيعملون على استغلال تلك الفرص بشكل عدواني و يوظفونها لشن عمليات هجومية، اذا كان تصرفهم في الماضي يمثل اي دليل، وستكون القوات العراقية القليلة التجربة و الخبرة مجبرة للرد بكل قدرتها و ما تمتلك من كفاءة. و الى جانب ذلك، فمن المحتمل ايضا ان تصبح قوات الامن العراقية نفسها اكثر قسوة حالما ينسحب الامريكيون من العراق. و لكونهم اقموا في تدريب متسرع و خاطف بالمقارنة مع التدريب الذي تتلقاه القوات الامريكية، اصبح العراقيون مضطرين لان يكونوا اقل احترافا، فالاحتراف احد الحواجز الرئيسية بين القوات العسكرية و سوء التعامل مع المعتقلين و المدنيين. بالاضافة لذلك، فان الجنود العراقيين يحترمون معلمهم و مدربيهم الامريكان الخاصين و يسعون لمحاكاتهم. و هم يعرفون ان القوات الامريكية تعارض بقوة الجرائم

واستعدادا للسيطرة عليه و ادارته (التمرد). و لم يكن العدد البسيط للجنود العراقيين المدربين او وحدات الجيش العراقي، اجراء كافيا لتعيين او تحديد حجم او مدى سرعة الانسحاب. وينبغي لاي جدول زمني للانسحاب ان لا يضع في اعتباره ذلك العدد فحسب، و انما قوة التمرد في فترة ما بعد تسليم زمام الامور و السيطرة على الداخل للقوات العراقية، بالقياس مع القدرات و الامكانيات العراقية. و في هذه الاثناء من المهم للولايات المتحدة ان تكون متورطة بشكل مباشر في الصراع و القتال ضد المسلحين و المتمردين من اجل اضعاف قوتهم و خفضها الى مستوى تكون معه القوات العراقية قادرة على مواجهته و التعامل معه. و هناك قرائن و علامات تدل على ان القيادة المركزية تتبنى هذا الموقف و الاسلوب لكن بحذر شديد، لكن الجيش و الادارة عليهما الاعلان عن تبني هذا الموقف مع تقديم التوضيحات اللازمة حوله للملأ العام. و لحد الآن، اثبت قادة الجيش و رجال الدولة الامريكان انهم معنيون و مهتمون بخفض حجم وجودهم و يقدمون الوعود بالانسحاب، لكنهم لم ينفذوا ذلك عمليا.

#### طريقة جديدة: افرغ، سيطر، شيد

ان غياب صياغة و اعداد استراتيجية عملية لمواجهة و احباط التمرد (في مقابل استراتيجية تدريب العراقيين للقيام بعمليات محاربة و مواجهة التمرد) ادى الى بروز استراتيجيات قليلة مقترحة من قبل خبراء اجانب، و بالذات استراتيجية "بقعة الزيت"

والاعمال الارهابية، لذا فان العراقيين لا يرتكبون مثل هذه الجرائم عندما تكون القوات الامريكية قريبة منهم. لكن عندما تغادر هذه القوات و ترحل فان قوة ذلك التحفظ او ضبط النفس ستضمحل، و ستتوفر الفرصة لعدد اكبر من القوات العراقية للتحرك بحرية و القيام بعمليات اوسع.

و الحقيقة القائلة ان العراقيين سيجدون القتال ضد المتمردين و المسلحين لو حدهم اصعب بكثير من مقاتلة هؤلاء بمساعدة القوات الامريكية، ستولد في النهاية نوعا من الخوف و الاحباط يولد ويغذي الجرائم الفظيعة. و الشيء المؤكد و المعروف ان ازدياد عدد الاعمال الاجرامية التي ترتكبها قوات الامن الشيعية العراقية سيساعد في التحريض على التمرد و يضاعف من حجم شبح الحرب الاهلية. و مجرد وجود القوات الامريكية يساعد على ايجاد هذه المشكلة الى حد ما الاذني، و يعد سببا مهما للاصرار على هذه الحقيقة و هي ان يكون اي انسحاب لقوات التحالف بشكل تدريجي و متماشيا ليس مع القدرات و الامكانيات العسكرية للقوات العراقية فحسب، و انما مع احترام و كفاءة هذه القوات الحديثة النشوء .

وفوق ذلك كله، فمن الضروري لقوات التحالف العمل على مواجهة عمليات المتمردين و خفض حجم ونطاق التمرد الى ادى مستوى ممكن بحيث عندما تغادر القوات الامريكية و ينمو التمرد، فان نموه أو اتساع نطاقه لن يكون الى حد يتجاوز معه الحد الذي يمكن للقوات العراقية الاقل اقتدارا و الاضعف

واحدة وهي احتمال الفشل في ايجاد مناطق آمنة للمواطنين العراقيين. لكنها لها فائدة مهمة تتعلق بمنع المتمردين من انشاء او اقامة ملاجئ آمنة خاصة بهم لمدة تزيد على اشهر قلائل وفي آن واحد. و هذه نقطة نافعة و مهمة بشكل لا يصدق.

و كما شاهدنا خلال معارك الفلوجة و تلعفر، فان فسخ المجال امام المسلحين و المتمردين و منحهم فرصة كبيرة و وقتا طويلا للسيطرة خلاله على منطقة مأهولة و إعداد الترتيبات للدفاع عنها بشكل فاعل، انما يجعل عملية اخراجهم من هذه المنطقة اصعب بكثير. كما يتيح ذلك المجال امامهم اقامة و تأسيس قواعد للتدريب؛ ومراكز لتجنيد المقاتلين؛ و خزن او تكديس الاسلحة و التجهيزات والمعدات العسكرية؛ و لتصدير الارهابيين و العتاد القتالي الى مناطق اخرى. (و يقوم تنظيم القاعدة في العراق فعلا بعرض دورات تدريبية لأتباعه و انصاره، و إكمال ذلك باعطاء توضيحات و بيانات مفصلة يعرض فيها كيفية صنع و استخدام اجهزة و معدات انفجارية يدوية الصنع، و كذلك كيفية مهاجمة قوات التحالف، و هلم جرا.) و بإمكان قوات التحالف، و عبر محو مثل هذه القواعد او مراكز التدريب بشكل دوري، تقليص مدى عمليات التمرد و تطور قدرة المتمردين – و قد اكد قادة الجيش الأمريكي في الاسابيع الاخيرة و لاكثر من مرة ان تعقيد هجمات المتمردين آخذ بالهبوط الى حد بعيد، و ان تأثيرهم الفاعل و ضرباتهم المهلكة تتراجع و تتقلص بشكل ملحوظ. و سيكون

التي اوصى بها مؤخرا اندرو كرينيفتش مسؤول الشؤون الخارجية. و تشدد هذه الاستراتيجية على ضرورة ان تتخلى الولايات المتحدة عن جهودها و محاولاتها لمواجهة و قتال الارهابيين في انحاء العراق و التركيز بدلا من ذلك على انشاء عدد محدود من المناطق الآمنة يتمكن العراقيون فيها من اعادة تأسيس حياة عادية و عيش آمن لهم. و يمكن توسيع نطاق و مد هذه المناطق الآمنة (مثل بقع الزيت) بمرور الزمان، و بشكل تدريجي لاختراع كل مناطق البلاد تحت السيطرة. و يؤكد هذا المسؤول و غيره و بكل وضوح على ان فشل قوات التحالف في توفير وضمان الامن للعديد من العراقيين القاطنين في المثلث السني يعد من اهم و اخطر المشاكل في هذه الحرب، و يوصي باتباع هذا النهج باعتباره افضل طريق لمعالجة و حل هذه المشكلة وبعده محدود من الجنود الامريكيين (و يجادل كرينيفتش في الواقع بأن الولايات المتحدة يجب عليها خفض حجم التزاماتها و تعهداتها بشكل محسوس في العام ٢٠٠٦ بينما تتبنى و تنتهج الاستراتيجية التي اعدتها لهم).

و لكن هناك مشاكل جدية تحدث جراء هذا الاقتراح. اما الاستراتيجية الامريكية التي وصفها البعض ساخرين بسياسة "اصطياد الفأر في جحره"، فهي لم ترجح احتلال الارض مطلقا، لكنها ركزت بدلا من ذلك على هجمات خاطفة و مباغتة. لاعتقال او قتل الارهابيين و المتمردين المسلحين. و هذه السياسة فيها نقطة سلبية

اجراء غير مناسب فيما لو بادرت قوات التحالف الى ايجاد ملاذ آمن للمتمردين لايمتلكونه الآن، في الوقت الذي تركز فيه كل جهودها على انشاء و ايجاد ملاجئ آمنة للمواطنين العراقيين.

و المشكلة الاخرى المرافقة لسياسة "بقعة الزيت" هي انها ستكون اقل تأثيرا من الخطة التي تتبعها القاعدة المركزية (CENTCOM) و تطبقها فعلا، و ستشكل في الواقع خطوة للوراء في الاستراتيجية المنتهجة على الارض. وكل ذلك لان القيادة المركزية اكتشفت في النهاية بأنها عليها احتلال الارض في العراق حتى عندما تمارس لعبة "اصطياد الجرد" مع المتمردين، كما وجدت الطريقة الامثل لتنفيذ هذه الخطوة بالحجم الفعلي من قوات التحالف الموجودة حاليا في العراق. وان اي فشل في صياغة او اعداد السياسة الجديدة يؤدي الى ترك النجاح الذي تحققه الآن دون تقييم بشكل واضح و محسوس. و نتيجة لذلك، يوجد خطر حقيقي من ان يتم تجاهل هذه الخطة الجديدة في الوقت الذي يكون من اللازم تعميمها و التوسع فيها.

اما السياسة التي غالبا ما اعلن عنها الرئيس بوش، و القائلة بأن القوات الامريكية ستسحب من العراق حالما تتمكن القوات العراقية من السيطرة على الاوضاع و مواجهة المتمردين لوحدها، هذه السياسة اثبتت خطأها. لانه كلما ازداد عدد قوات الامن و الشرطة العراقية الجاهزة للعمل، سيكون من اللازم على الولايات المتحدة استخدامها

لمتابعة تحقيق الاهداف الحرجة التي جعلتها القلة القليلة من القوات الامريكية امرا مستحيلا في السابق. و عندما يتمكن عدد اكبر من القوات العراقية من مسلك زمام الامور بايديهم، ينبغي بهم الانضمام الى القوات الامريكية في مواجهة و محاربة المتمردين. و هذا هو النهج الذي سارت عليه القيادة المركزية بهدوء خلال الاشهر الاخيرة بشكل فاعل و مؤثر. وان التراجعات المتهورة او حتى الوعود بالانسحاب و التراجع للقوات الامريكية سيجعل تطبيق هذه الخطة امر غير ممكن.

ومنذ منتصف شهر سبتمبر، نفذت قوات التحالف سلسلة من العمليات الكبرى و الصغرى في محافظتي الانبار و نينوى. و هي تساهم في تقديم نموذج مشترك: فرق قتال امركية - عراقية مشتركة تقوم بمحاصرة المدن التي يتمركز فيها الارهابيون و اخلائها فيما بعد من هؤلاء؛ و تقوم بعد ذلك القوات الامريكية بالانسحاب باستثناء مفارز صغيرة، لتحلف وراءها فرقا عراقية بأحجام يعنى بها تكون مهمتها الحفاظ على استتباب الامن و النظام العام؛ لتبدأ بعدها عمليات اعمار و اغائة انسانية معدة مسبقا، لاصلاح الاضرار الناجمة عن القتال (الذي بلغ الحد الادنى بشكل اعتيادي) و كذلك لتحسين مستوى معيشة السكان المحليين و ايصالها الى المستويات التي كانت عليها قبل هذه العمليات.

و قد ادى العدد المتزايد من القوات العراقية الجاهزة للعمل الى فسح المجال امام قوات التحالف لمتابعة تنفيذ هذه العمليات، التي

تتهى ضمان الامن للاراضى التى اخلت من  
المسلحين بطريقة لم تتمكن العمليات السابقة  
من تحقيقها، دون التخلّى عن منطقتى الانبار  
و نينوى و تسليمهما للمتمردين كما كانت  
تدعو استراتيجية بقعة الزيت. و النتيجة هي  
زيادة اجمالية في تعداد المناطق المطهرة من  
المسلحين والارهابيين والتي اصبحت تحت  
سيطرة القوات العراقية التي اعادت بناء  
وتنظيم نفسها، بدون ايجاد ملاجئ آمنة  
للمتمردين تدخر و تكس الامتات للمستقبل.  
و امتدادا من منتصف شهر نوفمبر الماضي،  
افلحت قوات التحالف و معها القوات العراقية  
في اخلاء و ضمان الامن في عدة مدن  
صغيرة و اهمها: الحصيبة و كاربله و هيت  
و حديث و بروانة و حقلانية و سدة وراوة و  
اميرية و فارس على طول الحدود السورية.  
وفي عمليات اخرى قامت قوات التحالف  
بتطهير مدن اخرى من الارهابيين شملت  
تلعفر و القائم و الرمادي و غيرها من مناطق  
التوتر. و يبقى الكثير من العمل الواجب القيام  
به، و كان المتحدث باسم رئيس الوزراء  
العراقي قد نوه مؤخرا الى حاجته للمزيد من  
القوات في محافظة ديالى و في مكان آخر،  
لكن ذلك يعد بداية و اعادة لسياسة جديدة.

لكن القيادة المركزية و لسوء الحظ  
ربما تكون قد تبنت هذا النهج الصحيح  
للاسباب الخاطئة. و ان نقطة تركيز جميع  
هذه العمليات، و حسب المتحدث باسم القيادة  
المركزية، هي وقف سيل و تدفق المقاتلين  
الاجانب الى داخل العراق عبر احكام سيطرة

قوات التحالف على مدن و ادي نهر الفرات،  
التي تقع في طريق سفرهم الى العراق.  
و علاوة على ذلك، فان الحاجة  
لضمان الامن في المثلث السني قبل انتخابات  
شهر ديسمبر (٢٠٠٥) اعطت لهذه المهمة  
دفعاً اكبر لانجازها بشكل اسرع من وجهة  
نظر القيادة المركزية. و رغم ان كلا الموقعين  
يعتبران مهمين، الا انها يمثلان مشاكل قصيرة  
الامد، و خاصة مسألة التركيز على  
الانتخابات. و الخطر يكمن في ان تبادر  
القيادة المركزية، و جراء ضغوط اولئك  
المعنيين برحاء الجيش و اولئك الراغبين  
بوقف الحرب في العراق، ان تبادر الى ترك  
او قطع هذه الجهود المتينة و الثابتة في وقت  
تكون هناك حاجة ماسة لمضاعفتها و توسعة  
نطاقها.

و لا يوجد هناك شك في ان حضور  
المقاتلين الاجانب في العراق يعد عنصرا او  
عاملا اساسيا لبروز التمرد والعمليات  
الارهابية. و رغم ان هجمات تنظيم القاعدة  
تشكل نسبة من اجمالي الهجمات المنفذة في  
العراق، الا انها يمكن ان تتحول لتكون اكثر  
الاحداث اثاراً للتأملات و الافتراضات مما  
يجلب بالتالي الاضرار للجبهة الداخلية  
الامريكية. كما لا يوجد ادنى شك من ان  
الزرقاوي يعد عدوا خطيرا يجب ملاحقته و  
اعتقاله او قتله، و الولايات المتحدة لا تجرؤ  
على المجازفة برفع الضغط عنه و السماح له  
لاعادة تنظيم قواته المشتتة و المعرضة  
لضربات مهلكة بشكل متزايد.

و لكن وكما قائد القوات المتعددة الجنسيات في المنطقة الغربية الرائد الركن ستيفان جونسون مؤخرا: "ان المتمردين في محافظة الأنبار، شمال منطقة بابل، هم في الغالب من المتمردين المحليين او من سكان المنطقة الحاصل فيها التمرد، اي ان المتمرّد او المسلح الذي نقاتله هنا هو من هذه المنطقة، اي من تلك المجتمعات التي نتعامل معها فعلا." و اضاف: ان المواطنين السنة من اهل المنطقة يشكلون الغالبية العظمى من المتمردين الذين نقاتلهم. ولا يوجد اي دليل واضح يثبت ان حذف او محو وجود المقاتلين الاجانب، المرتبطين في الغالب بتنظيم القاعدة، سيؤدي الى اخماد او قمع تمرد العرب السنة المحليين الفعلي، و الجهود المبذولة للتركيز على ذلك ينجم عنها خطر صرف الانتظار و تحويل الاهتمام عن المشكلة التي ستحدد في النهاية ثمره التجربة الديمقراطية العراقية وهي كسب او جذب السنة العرب للالتحاق بالعملية السياسية بكل هدوء و بصورة سلمية.

كما يعد التركيز على اعداد المثلث السني للمشاركة في الانتخابات امرا ضروريا لكنه يسبب المشاكل. و لا يمكننا المبالغة في اهمية ضمان تصويت السنة العرب و مشاركتهم في الانتخابات بشكل سلمي بما ان ذلك يعد جزءا حرجا وحساسا من مهمة اقناعهم بنبذ العنف و التوسل بالحلول السياسية لمشاكلهم. لكن الانتخابات الاخيرة لن تساعد ابدا بحل المشكلة. و قد اتبع السنة العرب لحد الآن ثلاثة سبل مختلفة لاستعادة السيطرة و الهيمنة على زمام الامور في العراق. الامر

الذي يعتبره العديد منهم حق الامتياز او حق الانتماء لمسقط راسهم الخاص بهم. وقد قاطع السنة العرب انتخابات شهر يناير (كانون الثاني) في مسعى منهم لتجريد هذه الانتخابات من شرعيتها. وعندما فشل مساعهم ذلك، خرجوا في جماعات في شهر اكتوبر، على امل التصويت ضد الدستور الذي لم يكن يعجبهم او يلبي رغباتهم. وقد فشل مساعهم ذلك ايضا، و اخذ عدد كبير من قادة السنة العرب في الآونة الاخيرة يدعون الى مشاركة واسعة في انتخابات شهر ديسمبر على امل تشكيل كتلة انتخابية قوية تكون قادرة على اعادة زمام الامور في العراق الى اقرانهم من العرب السنة عبر العملية السياسية. و السؤال المهم المطروح حاليا هو: كيف تسير عملية الانتخابات و ماهو رد فعل مجتمع العرب السنة حيال نتائجها.

وهناك امكانية، حسبما يجادل بعض المحللين، من ان يبادر التكتل العربي السني الى وضع حد لمسألة كونه ثاني اكبر تكتل في البرلمان الجديد، و السعي لاعطاء العرب السنة مجالا اوسع و قدرة يعتد بها و صلاحيات واسعة في الجهاز السياسي الجديد. و يمكن لمثل هذه النتيجة ان تقلص من قوة جماعة المتمردين و المسلحين الرافضين للحكومة بشكل ملحوظ. و لكن اذا جاءت الانتخابات بنتائج معكوسة، او حتى اذا لم يتمكن ائتلاف عربي سني قوي من فرض التغييرات التي يريدها في الدستور، او شق طريقه لتحقيق النجاح في قضايا اخرى تتعلق بسياسة البلاد، او اذا افلح قادة التمرد



المتشددون في كسب الدعم الشعبي لاي مجموعة من الاسباب المحتملة الاخرى، عندما يمكن ان تتصاعد حدة التمرد و الاعمال الارهابية بشكل مفعج رغم التحول الكبير الذي طرأ على موقف السنة العرب و مشاركتهم الواسعة في الانتخابات.

لذا فمن الخطأ النظر للانتخابات بأنها تمثل بالضرورة نقطة تحول و ينبغي بالاستراتيجية الأمريكية ان تعد العدة للحالات الاسوأ، و ان تكون مستعدة لاخذ زمام المبادرة من ايدي المسلحين و مواجهة التمرد خلال الاشهر القلائل القادمة. و اذا سار كل شيء على ما يرام و صار واضحاً للعيان بأن التمرد يحتضر و يمر بأيامه الاخيرة، عندها لن يكون التأخير لعدة اشهر في بدء سحب القوات امراً مهما او ذا مغزى خاص للجيش او اي شيء آخر. و اذا لم تسر الامور حسب المراد، عندها ستكون الولايات المتحدة في وضع يضطرها للرد بشكل عاجل و قبل انفلات الامر من يدها او بعد فوات الاوان.

و ان حضور او غياب عدد كبير من القوات الأمريكية سيكون له دور حيوي في تحديد ما اذا كان السنة العرب يميلون لاختيار سبيل العنف او اعتماد النهج السياسي في اعقاب الانتخابات، وعلينا النظر بجدية لهذا الدور و عدم الاستخفاف به. فكلما كثر عدد مناطق المثلث السني التي تمكنت قوات التحالف من تطهيرها من المسلحين و فرض سيطرتها عليها، كلما قل عدد القواعد و الملاجئ الآمنة للارهابيين و المتمردين المسلحين. و كلما كثر عدد القوات العراقية

المدرية و المستعدة بشكل جيد في تلك المدن (مناطق المثلث السني)، كلما زاد احتمال تلقيهم انذاراً مبكراً حول المشاكل المحتملة او الاخطار التي تهددهم مما يعزز في قدرتهم على وأد هذه المشاكل او العمليات الارهابية في مهدها، سواء كان ذلك بمساعدة القوات الأمريكية او بدونها. وليس الوقت مؤاتياً الآن لوضع جداول زمنية او اعطاء وعود لانسحاب القوات لارضاء جمهور الناخبين في الداخل. لكن الوقت مؤات للاعلان للملأ بان احراز التقدم في عمليات تطهير المثلث السني و ضبط الاوضاع في هذه المناطق سيتواصل دون اي تهاون او تساهل، بل سيتم دفع عجلته للامام والتسريع به في الوقت الذي تسجل فيه القوات العراقية حضورها و تتحرك للالتحاق بركب القوات الأمريكية لمواجهة التمرد. و هذه هي افضل طريقة لاحباط امل المتمردين من ان القوات الأمريكية ستمتتع عن اطلاق رصاصه الرحمة والكف عن مهاجمتهم عندما تمتلك الفرصة لآبادتهم و انهاء وجودهم. و هذا هو السبيل الامثل لاقتناع السنة العرب بأن عليهم ان يعقدوا آمالهم على العملية السياسية السلمية لاغير.

وهكذا كانت القيادة المركزية (CENTCOM) ناجحة - بصورة غير مقصودة تقريبا - في هذه العمليات الاخيرة. و كما يحدث بالصدفة، فان عملية تطهير المدن و الاقضية من عناصر القاعدة و فرض السيطرة عليها و حمايتها ضد المقاتلين الاجانب ستجرد الراضين السنة من قدرتهم (كل من يحمل السلاح او متفجرات او قنابل

يتم اعتقاله خلال عمليات المداهمة و الملاحقة). كما ان اقامة او تأسيس حاميات عسكرية للقوات العراقية في اعقاب هذه العمليات توفر الفرصة لانداز مبكر يحذر من الهجمات المحتملة بنوعيتها. لكن التركيز على الحدود هو أمر غير مناسب او لا يبشر بخير على المدى البعيد، لأنه سيكون مصحوبا باستمرار المشاكل داخل العراق. ويجب على قيادة القوات المركزية الاحتفاظ بموقفها الجديد، لكن عليها تبني هدف جديد غير ما خططت له سابقا.

وينبغي ان يكون الهدف تطهير بغداد من الارهابيين و ضبط الاوضاع الامنية فيها وفي كافة مناطق المثلث السني بأي مستوى من التقدم يسمح به نمو حجم قوات الامن العراقية، مع استمرار مهاجمة قواعد انطلاق اعضاء القاعدة و التنظيمات السنية عند الضرورة، حتى عندما لا يكون هناك قوات عراقية بقيت في الخلف. و يجب ان تعطي الاولوية لتطهير بغداد و الرمادي من المسلحين بالسرعة الممكنة. و اذا كان ذلك ينطوي على تقبل حجم اكبر من المجازفة و خطر تسلل الارهابيين عبر الحدود، فليكن كذلك. و سيعني بالتأكيد الاحتفاظ بوجود غير منقوص للقوات الامريكية في العراق للاشهر القادمة، و المسألة تستحق قبول الاخطار الكامنة في ذلك القرار كذلك.

والموضع في العراق يمثل قاعدة او ارضية اكثر ثباتا للفتاؤل هذه الايام اكثر من اي وقت مضى. و تبقى التحديات كبيرة، و يستمر الفشل كأمر محتمل جدا للاشهر ان لم

نقل للسنيين التي ستأتي. و الخطر الاعظم و الاشد في طريق النجاح في العراق يكمن فعلا في الجبهة الداخلية الامريكية، في خطر ان تؤدي التحريفات في عرض الوضع الحقيقي في العراق، والمطالبات ذات الاغراض السياسية لرسم السياسة العراقية، و الخوف البسيط، و الاستنزاف، و الفوضى، تؤدي الى تقويض اسس الالتزام او التعهد اللازم للنجاح. و الخطر الآخر هو ان اولئك الذين يريدون تحقيق النجاح – اي ادارة بوش و القيادة المركزية – سيبددون عن غير قصد التعهد الامريكي بالاستمرار خطأ في التأكيد على الضرر الذي سيجلبه الحضور الامريكي لأفاق النجاح والفوز في العراق.

و هدف التحرك المضاد للتمرد و العمليات الارهابية هو الحاق هزيمة عسكرية و سياسية بالمسلحين و المتمردين. و بالطبع سيكون على العراقيين انفسهم، و على المدى البعيد، المحافظة على النظام و الامن في ارضهم ووطنهم. و لا يعني ذلك انهم قادرون على دحر التمرد و القضاء عليه لوحدهم. و يمتلك الجيش الامريكي قدرات و امكانات لكشف المواقع و تحديد الاهداف، وتجهيز الجيوش و نقل القوات بسرعة كبيرة نحو مواقعها، و ضرب الاهداف بدقة متناهية مع تقليل حجم الخسائر الاضافية، و البدء بعمليات اعادة الاعمار بشكل يفوق كل ما سيكون بإمكان الجيش العراقي تحقيقه او احرازه لوقت طويل. و بالاضافة لذلك، يتمتع جنود و رجال المارينز الامريكان بمستوى اعلى من الخبرة و الاحتراف و استقلالية العمل. و هم

يقومون بدور حيوي لقمع التمرد و القضاء  
عليه، و سيكون عليهم مواصلة القيام بهذا  
الدور للمستقبل المنظور على المدى القريب.  
و ان التدخل المستمر للجيش الامريكي و  
تداول حضوره امر مطلوب و لازم للنجاح في  
العراق – النجاح الذي يبدو فعلا بأنه صار  
في متناول اليد و اكثر قربا من اي وقت  
مضى – اذا تمسكنا بقوة بالاستراتيجية  
السليمة لتحقيق النصر و التي برزت للوجود  
مؤخرا، و لا نفقد اعصابنا.

فردريك كاغان هو باحث مقيم في معهد  
المشروع الامريكي لبحاث السياسة الخارجية

ر